الكامل بين دلالة التسمية وأجزاء الأبنية والاستعمالات

بحث في مادة العروض

إعداد/ أحمد محمد عيسى
قسم اللغة العربية
كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية
شاه علم - ماليزيا
ahmed.mahdey@mediu.ws

خلاصة—هذا البحث يبحث في بحر الكامل: بين دلالة التسمية، وأجزاء الأبنية والاستعمالات.
الكلمات المفتاحية: بحر الكامل، تسمية بحر الكامل، أجزاء بحر الكامل، أبنية بحر الكامل، استعمالات بحر الكامل.

I. *المقدمة*

بحر الكامل:
وهو البحر الثالث الذي كثُر دورانه في الشعر العربي، كما قال المعرِّي.
- وزنه:
وزن الكامل في دائرته:
متَفلعلن متفاعلن متفاعلن ... متَفاعلن متفاعلن متفاعلن

II. *موضوع المقالة*

بحر الكامل:
وهو البحر الثالث الذي كثُر دورانه في الشعر العربي، كما قال المعرِّي.
- وزنه:
وزن الكامل في دائرته:
متَفاعلن متفاعلن متفاعلن ... متَفاعلن متفاعلن متفاعلن
- تسميته:
اختُلف في سبب تسميته، فقيل: لكماله في الحركات، فهو أكثر البيوت حركات، وقيل: لأنه كمُل عن الوافر الذي هو الأصل في الدائرة، وذلك باستعماله تامًّا، وقيل أيضًا: لأن أضربه أكثر من أضرب سائر البحور، فليس بين البحور بحر له تسعة أضرب كالكامل.
- مفتاحه:
كمل الجمال، من البحور الكامل ... متفاعلن متفاعلن متفاعلن
- بناؤه وأجزاؤه:
يتكون البيت في هذا البحر من ست تفعيلات، كلٌّ منها مركب من فاصلة صغرى ووتد مجموع ووزنها العروضي (متفاعلن)، ويأتي مركبًا من ثلاث تفعيلات في كل شطر فيكون تامًّا، ويأتي مركبًا من تفعيلتين في كلٍّ فيكون مجزوءًا.
بحر الكامل:

	العروض:		الضرب:
متفاعلن متفاعلن متفاعلن.	تامة صحيحة.	متفاعلن متفاعلن متفاعلن.	تام صحيح.
متفاعلن متفاعلن متفاعلن.	تامة صحيحة.	متفاعلن متفاعلن فعلاتن.	تام مقطوع.
متفاعلن متفاعلن متفاعلن.	تامة صحيحة.	متفاعلن متفاعلن فعلن.	أحذ مضمر.
متفاعلن متفاعلن مُتَفَا.	حذاء.	متفاعلن متفاعلن مُتَفَا.	أحذ.
متفاعلن متفاعلن مُتَفَا.	حذاء.	متفاعلن متفاعلن مُتْفَا.	أحذ مضمر.
متفاعلن متفاعلن متفاعلن.	مجزوءة صحيحة.	متفاعلن متفاعلن.	مجزوء صحيح.
متفاعلن متفاعلن متفاعلن.	مجزوءة صحيحة.	متفاعلن متفاعلانْ.	مجزوء مذيل.
متفاعلن متفاعلن متفاعلن.	مجزوءة صحيحة.	متفاعلن متفاعلاتن.	مجزوء مرفل.
متفاعلن متفاعلن متفاعلن.	مجزوءة صحيحة.	متفاعلن مُتَفَاعِلْ.	مجزوء مقطوع.

- استعمالاته:
للكامل ثلاث أعاريض، وتسعة أضرب (كما هو موضح في الجدول):
أ- العروض الأولى صحيحة (متفاعلن)، ولها ثلاثة أضرب:
١- الضرب الأول صحيح مثلها (متفاعلن)، وشاهده قول عنترة:
وإذَا صحوْتُ، فما أُقَصِّرُ عن نَدًى ... وكما عَلِمْتَ شمائِلي، وتَكَرُّمِي
وإذا صحو ت فما أقص صر عن ندن ... وكما علمـ ت شمائلي وتكررمي
///ه//ه ///ه//ه ... ///ه//ه ///ه//ه ///ه//ه
مُتفاعِلُنْ مُتفاعِلُنْ مُتفاعِلُنْ ... مُتفاعِلُنْ مُتفاعِلُنْ مُتفاعِلُنْ
وقال ابن الرومي:
وإذا امْرُؤٌ مَدَحَ امْرَأً لِنَوَالِهِ ... وَأَطَالَ فِيهِ، فَقَدْ أَرادَ هِجَاءَهُ
لَوْ لَمْ يُقَدِّرْ فيهِ بُعْدَ الْمُسْتَقَى ... عِنْدَ الْوُرُودِ لَهَا أَطَالَ رِشَاءَهُ
وإذا امرؤ (متفاعلن) مدح امرأً (متفاعلن) لنواله (متفاعلن) وهي العروض.
وأطال فيـ (متفاعلن) ـه فقد أرا (متفاعلن) د هجاءه (متفاعلن) وهو الضرب، إذًا فالعروض الأولى صحيحة، وضربها كذلك.
٢- الضرب الثاني مقطوع (متفاعلْ) وينقل إلى (فَعِلاتن)، وشاهده قول الأخطل يهجو جريرًا:
وإذا دَعَوْنَك عَمَّهُنَّ فإنَّهُ ... نسبٌ يَزِيدُكَ عندهنَّ خَبَالا
وإذا دعو نك عمْمَهن ن فإننهو ... نسبن يزيـ ـدك عندهنـ ن خبالا
///ه//ه ///ه//ه ... ///ه//ه ///ه//ه ///ه//ه
متفاعلن متفاعلن متفاعلن ... متفاعلن متفاعلن فَعِلاتن
ولا يجوز في هذا الضرب سوى الإضمار.
وقال أبو تمام:
وإذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضيلَةٍ ... طُوِيتْ أَتَاحَ لَها لِسَانَ حَسُودِ
لَوْلاَ اشْتِعالُ النَّارِ فيما جَاوَرتْ ... مَا كَانَ يُعْرفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ
وإذا أرا (متفاعلن) د الله نشـ (متفاعلن) ـر فضيلة (متفاعلن) وهي العروض، طويت أتا (متفاعلن) ح لها لسا (متفاعلن) ن حسود (متفاعل) وهو الضرب.
فأنت ترى أن العروض صحيحة كسابقتها، أما الضرب فقد خرج عن (متفاعلن) وجاء على (متَفاعلْ) أي: إن الوتد المج موع (علن) قد حُذف ساكنه وهو النون وسكن ما قبله وهو اللام فصار (علْ)، وحذف ساكن الوتد المجموع، وإسكان ما قبله يسمى (قطعًا).
إذًا فالضرب مقطوع.
وقد جاء على ذلك قول شوقي يتغزل:
لك أن تلوم، ولي من الأعذار ... أن الهوى قدرٌ من الأقدار
ما كنت أسلمُ للعيون سلامتي ... وأبيحُ حادثةَ الغرام وَقاري
يا قلبُ، شأنُك، لا أمُدُّك في الهوى ... أبدًا، ولا أدعوك للإقصار
أمري وأمرك في الهوى، بيد الهوى ... لو أنـه بيَدِي فككْتُ إسـاري

ويدخل التصريع هذا النوع من الكامل، كما يقول شوقي:
وُلد الهدى، فالكائنات ضياءُ ... وفَمُ الزَّمَانِ تبسُّمٌ، وثناءُ
وقول محمود غنيم في الريف:
عشقوا الجمال الزائف المجلوبا ... وعشقت فيك جمالك الموهوبا
٣- الضرب الثالث أحذّ مضمر (مُثْفَا) وينقل إلى «فَعْلُن»، وشاهده قول الشاعر:
لمَن الديارُ برامَتَيْنِ فعاقِلٍ ... دَرستْ، وغَيّر آيها القَطرْ
لمنديا ربرامتيـ ـن فعاقلن ... درست وغيـ ـيّر أاليهلْ قطرو
///ه// ///ه// ///ه// ... ///ه// ///ه// /ه/ه
مُتفاعِلُنْ مُتفاعِلُنْ مُتفاعِلُنْ ... مُتفاعِلُنْ مُتفاعِلُنْ فَعْلُنْ =
مثْفَا
ومنه قول الحطيئة:
شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ... أن الوليد أحقُّ بالعذر
وقال الجمحي:
عَقِمَ النِّساءُ فما يلدنَ شبيهَهُ ... إنَّ النِّساء بمثلِه عُقْمُ
نَزُرُ الكلام من الحياءِ تخالُهُ ... ضِمْنًا، وليسَ بجسمهِ سقْمُ
عقم النسا (متفاعلن) ء فما يلد (متفاعلن) ن شبيهه (متفاعلن) وهي العروض، إن
النسا (متفاعلن) ء بمثله (متفاعلن) عقم (مثْفا)، وهو الضرب، فالعروض صحيحة
كما ترى، أما الضرب فقد خرج عن (متفاعلن) إلى (مثْفا)، فكيف تم ذلك الخروج؟
لقد حذف الوتد المجموع (علن) كله، فصارت (متفا) بتحريك التاء، وهذا الحذف
يسمى (حذذًا)، ثم سكن الثاني فصار (مثْفا) وتسكين الثاني يسمى (إضمارًا).
إذن: فالضرب قد دخله الحذذ والإضمار، ثم تكون عروضه صحيحة، وهو نوع
عصيّ نادر في الشعر العربي، فإنك لا تجد منه إلا الأبيات المفردات كقول عمر
بن أبي ربيعة:
ولقد عَصَيتُ ذَوِي القَرَابَةِ فيكمُ ... طُرًّا، وأهلَ الوُدِّ والصِّهْرا
وقوله من قصيدة أخرى:
فأجبتُها: إنّ المحبّ مُكَلَّفٌ ... فدَعِي العِتَابَ، وأحدِثِي بَذْلا
وكقول المسيب بن علس:
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الفاعِلِينَ، وَفِعْلَهُمْ ... فَلِذِي الرّقِيبَةِ مالكٍ فَضْلُ
كَفّاهُ مُخْلِفَةٌ، ومُتْلِفَةٌ ... وَعَطاؤُهُ متدفقٌ جَزْلُ
وبعض أبيات أخرى منثورة في القصائد، ومن ثَمَّ يميل الباحثون إلى عدم اعتبار
هذا النوع من الأوزان أصلًا برأسه؛ لأنه لم تجر عليه قصيدة كاملة، وإنما يأتي به
الشعراء للتنويع والتغيير ليس غير.
ومفاد هذا:
أن الكامل التام إذا كانت عروضه صحيحة فقد يكون ضربه صحيحًا، وقد ي كون
مقطوعًا، وقد يكون أحذّ مضمرًا.
ب- العروض الثانية حذاء (متَفا = فَعِلُنْ)، ولها ضربان:
١- الضرب الأول أحذّ مثلها (فعلن)، ومثاله قول أبي نواس:
مَنْ كَانَ جَمْعُ الْمَالِ هِمَّتَه ... لَمْ يَخْلُ مِنْ هَمٍّ، وَمِنْ كَمَدِ
من كان جمـ عل مال همـ ـمتهو ... لم يخل من هممن ومن كمديْ
/ه//ه /ه/ه// /// ... /ه/ه// /ه/ه// ///ه
مثْفاعلن مثْفاعلن متَفا = فعِلن ... مثْفاعلن مثْفاعلن متفا =
فعِلن
مستفعلن مستفعلن فعِلن ... مستفعلن مستفعلن فعِلن
ومنه قول أبي العتاهية:
الموت بين الخلق مشترك ... لا سوقة يبقي، ولا مَلِك
ومنه أيضًا:
وَبَدا الصَّباحُ كأن غُرَّتَه ... وَجهُ الخَلِيفةِ حين يُمتَدَحُ
٢- الضرب الثاني أحذّ مضمر، وشاهده:
ولأَنْتَ أَشْجَعُ مِن أُسامَةَ إِذْ ... دعيَتْ نزال، وَلُجَّ في الذُّعْرِ
ولأنت أشـ ـجع من أسا مة إذ ... دعيت نزا ل ولجج فذ ذعري
///ه// ///ه// /// ... ///ه// ///ه// /ه/ه
متفاعلن متفاعلن متَفا = فعِلن ... متفاعلن متفاعلن مثْفا = فعْلن
وقال الشريف الرضي:
ولقد مررتُ على ديارهمو ... وطلولها بيد الهلى نَهْبُ
وتلفتتْ عيني فمذ خفيتْ ... عني الطلول تلفت القلبُ
ولقد مرر (متفاعلن) ت على ديا (متفاعلن) رهمو (متَفا)، وهي العروض أصابها
الحذذ، وطلولها (متفاعلن) بيد البلى (متفاعلن) نهب (مثْفا)، وهو الضرب، أصابه
الحذذ والإضمار.
إذن: فالعروض حذاء، والضرب أحذ مضمر.
وعلى هذا النسق جاء قول الأحوص:
قالت: وقلتُ: تحرَّجِي وصِلِي ... حبلَ امرئ كلف بكم صبِّ
واصِلْ إذن بَعلي فقلتُ لها: ... الغدرُ شيء لَيس من ضَرْبي
ثِنْتان لا أدْنُو بقربِهما: ... عِرسُ الخليل، وجارةُ الجنبِ
أمَّا الخليل فلستُ فاجعه ... والجارُ أوصاني به ربّي
ومفاد هذا:
أن الكامل التام إذا كانت عروضه حذاء، فضربه يمكن أن يكون أحذّ فقط، ويمكن
أن يكون أحذ مضمرًا.
ج- العروض الثالثة - في الكامل المجزوء- صحيحة (متفاعلن)، ولها أربعة
أضرب:
١- الضرب الأول مجزوء صحيح مثل العروض (متفاعلن)، وشاهده:
وإذا افتقرتَ فلا تكن ... متخشعًا، وتجمَّلِ
وإذ فتقر ت فلا تكن ... متخششعن وتجملي
///ه// ///ه// ... ///ه// ///ه//
مُتَفاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ ... مُتَفاعِلُنْ مُتَفاعِلُنْ
ويجوز في هذا الضرب أيضًا الإضمار، والوقص، والخَزْل.
وقال الرصافي:
يا قوم لا تتكلموا ... إن الكلامَ محرمُ
ودَعوا التفهم جانبًا ... فالخيرُ ألا تفهموا
يا قوم لا (متفاعلن) تتكلموا (متفاعلن) وهي العروض صحيحة كما ترى، إن الكلا
(متفاعلن) م محرم (متفاعلن) وهو الضرب، وهو صحيح كذلك.
ومن هذا النوع جاء قول شوقي يخاطب طائرًا غردًا حبيسًا:
يا ليت شعرى، يا أسيـ ... ـر شج فؤادك أم خلي
بالرغم مني ما تعا ... لج في النحاس المقفل
حرصي عليك هوًى، ومن ... يحرزْ ثمينًا يبخلِ
والشح تُحْدثه الضرو ... رة في الجواد المجزلِ
أنا إن جعلتك في نُضا ... ر بالحرير مجلَّل
ولففته في سوسنٍ ... وحففته بقرنْفل
وحرقتُ أذكى العود حوْ ... ليه، وأغـلى الصندل
وأمرت بابني فالتقا ... كْ بوجهه المتهلِّل
بيمينه فـــالوذج ... لم يُهْنَ للمتوكل
وزجـاجةٌ من فضة ... مملوءة من سلسل
ما كنت يا صداحُ عنـ ... ـدك بالكريم المفضل
شهد الحياة مشوبةً ... بالرق مثل الحنظل
والقيد لو كان الجما ... ن مرظمًا لم يحمـل
٢- الضرب الثاني مجزوء مذيل، بزيادة حرف ساكن على الوتد المجموع في آخر
التفعيلة (متفاعلنْ)، وشاهده قول سبيعة بنت الأحب تخاطب ابنًا لها:
أَبُنيّ لا تَظْلمْ بمكـ ... ـكة لا الصَّغير، ولا الكَبير
أبنيي لا تظلم بمكـ ... ـكة لصصغيـ ـر ولل كبير
///ه// /ه/ه// ... ///ه// ///ه//ه
مُتَفاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ ...مُتَفاعِلُنْ مُتَفاعِلانْ
ومنه قول أبي فراس الحمداني:
أبنيَّتي لا تجزعي ... كل الأنام إلى ذهابْ
ويجوز في هذا الضرب أيضًا الإضمار، والوقص، والخزل.
وقال حافظ يصف طيارة:
فإذا علت فكدعوة الـ ... ـمظلوم تخترق الستارْ
وإذا هوت فكما هوت ... أنثى العقاب على الهزارْ
فإذا علت (متفاعلن) فكدعوة ال (متفاعلن) وهى العروض، وأنت تراها صحيحة،
مظلوم تخـ (متفاعلن) ـترق الستار (متفاعلان) وهو ضرب أصله (متفاعلن) زيد
عليه ساكن فصار (متفاعلن نْ)، والتقاء الساكنين هكذا يعسر النطق به؛ فحولت
النون الأولى ألفًا فصارت (متفاعلانْ)، ولا ضير من التحويل؛ إذ هو استبدال
ساكن بساكن، وزيادة الساكن على ما آخره وتد مجموع تسمى (تذييلًا)، فالضرب
دخله التذييل.

إذن: فالعروض صحيحة، وضربها مذال.
وقد جاء على ذلك قول محمود غنيم، تحت عنوان "جنازة السلام":
أرأيت إذ ولد السلام ... فنعوه من قبل الفطام؟
وضعته أوروبا لنا ... يا ليت أوروبا عقام
طفل بريء ذاق من ... يد أمه كأس الحمام
لهفي عليه ممزق الـ ... ـأوصال منتثر العظام
عصفت به ريح الوغى ... عصفًا، وغطاه القتام
فمضى شهيدًا ما له ... قبر يزار، ولا مقام
ليس السلام بسائد ... ما دام في الدنيا حطام
٣- الضرب الثالث مجزوء مرفَّل (متفاعلاتُنْ) بزيادة سبب خفيف "تن"، وشاهده:
ولقد سبقتَهمُ إليـ ... ـي فلِمْ نزعتَ، وأنت آخرُ؟
ولقد سبقـ تهمو إليـ ... ـي فلِمْ نزعـ ـت وأنت أاخر
///ه//ه ///ه//ه ... ///ه//ه ///ه//ه
متفاعلن متفاعلن ... متفاعلن متفاعلاتن
ويجوز في هذا الضرب ما يجوز في عروضه، من إضمار ووقص وخزل.
وقال بشار:
وكأنّ رجع حديثها ... قطع الرياض كُسين زهرا
وكأن تحت لسانها ... هاروتَ ينفث فيه سحرا
وكأن رج (متفاعلن) ع حديثها (متفاعلن) وهى العروض صحيحة كما ترى، قطع الريا (متفاعلن) ض كسين زهرا (متفاعلاتن) وهو الضرب، أصله (متفاعلن) زيد عليه سبب خفيف، أي: متحرك وساكن فصار (متفاعلن تن)، ولتنطق كلمة واحدة جعلت النون الأولى ألفًا، وهو تغيير لا ضير منه؛ لأنه -كما عرفت- استبدال ساكن بساكن فصار (متفاعلاتن) وزيادة السبب الخفيف (هنا) تسمى ترفيلًا، فالضرب دخله الترفيل.
إذن فالعروض صحيحة، والضرب مرفل.
تلك هي الأنواع الثلاثة التى يجري عليها مجزوء الكامل، وهي شائعة في الشعر العربي، يطرقها الشعراء ويرتاحون لموسيقاها.
على أن أهل العروض قد حدّثوا في كتبهم عن نوع رابع لمجزوء الكامل، فقالوا : إن أبياته تنتهي بوزن (متفاعلْ)، أي: ضربه مقطوع.
وقالوا: إنه لا يجوز في هذا الضرب سوى الإضمار...
وهم يسوقون لهذا بيتًا واحدًا لا ندري قائله، وإنما نراه يتردد في كتبهم دون ذكر لناظمه، أو إشارة إلى القصيدة التى اقتبس منها، وهذا البيت المفرد هو:
وإذا هم ذكروا الإسا ... ءة أكثروا الحسناتِ
وأكبر الظن أنه وليد صناعة عروضية، وليس من الأوزان التي طرقها الشعر.
ومفاد هذا:
أن مجزوء الكامل لا بد أن تكون عروضه صحيحة، أما ضربه فيدور بين الصحة، والتذييل، الترفيل.

المراجع والمصادر

١ - الأسعد، عمر الأسعد، أهدى سبيل إلى علمي الخليل، معالم العروض والقافية، الوكالة العربية للتوزيع، ١٩٨٤م.
٢ - ابن عصفور، ضرائر الشعر، تحقيق : السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس - بيروت ١٩٨٠م.
٣ - التبريزي، الخطيب التبريزي، الكافي في العروض والقوافي، دار الكتب العلمية - بيروت ٢٠٠٢م.
٤ - سالم، أمين عبد الله سالم، عروض الشعر العربي بين التقليد والتجديد، ١٩٨٥م.
٥ - السيرافي، ضرورة الشعر، تحقيق : رمضان عبد التواب، دار النهضة ١٩٨٥م.
٦ - الضبع، يوسف الضبع، الرِّياض الوافية في علمي العروض والقافية، دار الحديث - القاهرة ١٩٩٨م.
٧ - المبرد، القوافي، تحقيق : رمضان عبد التواب، مطبعة جامعة عين شمس - القاهرة ١٩٧٢م.
٨ - مناع، هاشم صالح مناع، الشافي في العروض والقوافي، دار الفكر العربي - بيروت ١٩٩٣م.
٩ - الهاشمي، السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، دار الكتب العربية - بيروت ١٩٩٠م.
١٠ -الهاشمي، محمد علي الهاشمي، العروض الواضح وعلم القافية، دار القلم، ١٩٩١م.